

**البَيْرَزَة**، فنُ الصيْد بواسطة طيور الصيْد، بالمعنى الأشمل، وليس بواسطة البازيِّ بالضرورة (كما يوحي معنى كلمة البَيْرَزَة). كلمة البَيْرَزَة العربيَّة مشتقَّة من بَيْرَار معرَّب بازيار أو بازدار الفارسيَّتين، وقد فضَّلت على شكلها الآخر البَيْرَزَة [معرَّب بازداري الفارسيَّة]؛ استُخدمت لفظتا البازيَّة والبيازَة في مغرب العالم الإسلاميِّ فقط. لا ريب أنَّ العربَ قبل الإسلام كانوا يعرفون استخدام طيور الصيْد ("الكاسر" وجمعها "الكواسر")، بصفتها حيوانات صيَّادة ("الجراح" وجمعها "الجوارح")، فقد وصف أمرؤ القيس في قصيدته "أيام الصيْد" مسارح هذا النوع من الصيْد بشكل عام. مع ذلك، فإنَّ البَيْرَزَة لم تلقَ أهميَّةً تُذكر إلاَّ بعد الفتوحات الإسلاميَّة الكبرى، التي أدت إلى اختلاط العرب بالإيرانيِّين والروم، وسرعان ما أحبَّها الأمراء العرب، وجعلوها وسيلةً للتسلية، تلبِّي شغفهم بالفروسيَّة. جعل الخلفاء والقادة المسلمون البَيْرَزَة مؤسَّسة سُمِّيَ من يرأسها "أمير الصيْد"، وبعد ذلك "أمير شكار" [المعنى الحرفي لأمير الصيْد بالفارسيَّة]. كان الخليفة الأمويِّ يزيد بن معاوية (حك: 60-64هـ) أوَّل من أظهر شغفًا بالبَيْرَزَة. لقد قدَّم المؤرِّخون، وأصحاب التذاكر، ومدوِّنو الأحداث العرب، كلُّ بحسب مقتضيات عصره وظروف بلاده، معلوماتٍ حول الأسلوب الشائع للبَيْرَزَة، ونقلوا حكايات مثيرة عن الفنون التي مارسها بعضُ الأمراء العرب في هذا الحقل (← الطبريِّ، ابن الأثير، السيوطيِّ، المقرئزيِّ - كاترمير<sup>1</sup> في سُوَاجِه<sup>2</sup>). المعلومات القيِّمة عن البَيْرَزَة، هي تلك التي وردت في بعض المؤلَّفات الموسوعيَّة، التي دُوِّنت بهدف الاستفادة من الشواهد الأدبيَّة واللغويَّة، مثل كتاب الحيوان للجاحظ، والمخصَّص لابن سيِّده، وصبح الأعشى للقلَّقشَندي، ومروج الذهب للمسعودي.

في المغرب والأندلس أيضًا، كان للبَيْرَزَة عشاق، كما في مشرق العالم الإسلاميِّ. ففي عصر الأغالبة، في أفريقيا، فرغت خزينة الوالي، الأمير محمد الثاني (حك: 250-261هـ) الذي لم يُلقَّب بـ "أبو الغرائق" عبثًا، بسبب نفقاته الجنونيَّة على "اللَّعب" (اللعب بالبازيِّ) (← ابن عِذارِي، ص 147-148). بعد ذلك، أبدى الحفصيون شغفًا شديدًا بالبَيْرَزَة. كان أبو عبد الله محمد الأوَّل، الملقَّب بالمستنصر (حك: 647-675هـ) يجد كالأمراء الساسانيِّين لذَّةً، بإجلاس بازي الصيْد على راحة يده، وبالنفَرَج على مَصيِّد كبير بالقرب من بَنَزَرَت\* (← ابن خلدون، مج2، ص 338). في القرن التاسع الهجريِّ، كان أحد أحفاده عثمان بن محمد (حك: 839-893هـ) يخصَّص عددًا من أيَّام الأسبوع لهذه التسلية (← برونشفيغ<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> - Quatremère

<sup>2</sup> - J. Sauvaget

<sup>3</sup> - R. Brunschvig

ص 212). كان "صاحب البيازرة" في بلاط الأمويين في قرطبة رفيع المقام لدى السلطان (← ابن عذاري في ليفي بروفنسال<sup>1</sup>، ص 55). كان شيوع البيازرة في البلدان الإسلامية بأسرها وسيلة ارتزاقٍ جمعٍ كبير من الأهالي، ولم يكن العمل في هذا الحقل مقتصرًا على الطبقات الاجتماعية العليا، على العكس مما كان سائدًا في البلدان المسيحية. فقد مارس هذا العمل القرويون والصحراويون بشكل مستمر حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وحافظوا على تقاليدهم. لذلك من السهل تقويم أهمية دور طيور الصيد في الحياة الاقتصادية للمسلمين، لا سيما في القرون الهجرية الأولى، لما تولد عنها من نشاط تجاري، وأعداد الأشخاص الذين تتطلبهم تربيتها والاعتناء بها (أسعد طلس، ص 271-301؛ الجاحظ، 1353هـ / 1935م، ص 34-35؛ ترجمة شارل بلا<sup>2</sup>، ص 160-161).

في الواقع، لم يكن رئيس مؤسسة البيازرة نفسه بيازراً بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما كان فقط في أثناء الصيد يرتدي "البهلة" في يديه (بالفارسية والعربية: "دستبان"، في المغرب: "القفاز"). كان يوكل مراقبة "بيت الطيور" إلى "علمانه"، الذين كانوا يتولون فضلاً عن ذلك إعداد الحمام والطيور الأخرى لتغذية البزاة وتدريبها. كان فنّ تعليم الطيور وتدريبها، يتطلب أيضاً، بحسب نوع طيور الصيد، أن يكون البيازر (جمعها بيازرة)، أو "الصقار" ذا كفاءة عالية (حول تفضيل لفظة بازيار = بيازر على بياز ← الألفاني، ص 92؛ كانت الألفاظ: بياز، وبيازي، وبياز، وبازي، وبيزاري بالمعنى العام للكلمة الفارسية "بازدار" جزءاً من الألفاظ المغربية - الأندلسية، تحل محلها في معظم الأحيان لفظة الطيار). كان البيازر وكذلك الصقار يستعينان بـ "الكلابزي/الكلاباذي" (المسؤول عن كلاب الصيد)، الذي يُطلق كلابه السلوقية في إثر الغزال أو الأرنب، في الوقت الذي يكون فيه البازي أو الصقر أحياناً وحتى العقاب مترصداً و "حائماً" في الجو، يتقدم الطيار مجموعة الكلاب، ويسمى عيني الطريدة ويوقفها ← (الشكل 82).

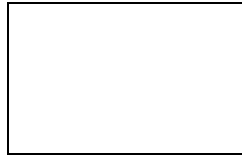
التصنيف التقليدي لطيور الصيد الممكن تدجينها ("الضراوة" و "الضراة") في الشرق على أساس عيونها ذات البؤبؤ الأسود أو الأصفر، يدل على دقة النظر، ومطابق كلياً لتصنيف علم الطيور الجديد. في الواقع، الطيور "السوداء العيون" لا تُرى إلا في فصيلة الشواهين<sup>3</sup>، السوداء البؤبؤ، وهي طيور أجنحتها طويلة، وتحلق على علو مرتفع وتختص بصيد الطيور المحلقة عالياً - مثل "البلشون"، و "الكركي"، و "الغرناق"، و "الغربان"، و "الحداء" و "طير الماء"،

<sup>1</sup> - E. Lévi-Provençal

<sup>2</sup> - Charles Pellat

<sup>3</sup> - Falconidae

وحتى العُقاب أحياناً. يقف الباحثون والمحققون في اللغة العربيّة حيارى أمام وفرة الألفاظ والمصطلحات الدالّة على الطيور الصيّادة. هذه الوفرة ليست ناتجة عن كثرة أنواع هذه الطيور، وإنّما عن تعدّد الصفات المستخدمة للدلالة على الألوان التي لا حصرَ لها لريش هذه الطيور وأجنحتها بحسب الجنس (ذكر أو أنثى)، والسنّ، والبيئة الطبيعيّة. كان العرب يقولون باختلاف الأنواع في العائلة الواحدة من الطيور، بحسب كونها فراعناً أو بالغةً، ذكوراً أو إناثاً. مع ذلك بالإمكان، من ناحية، بمساعدة الفهارس العلميّة لطيور كلّ منطقة من المناطق، ومن ناحية أخرى من خلال الاستعانة بأوصاف كبار علماء الطبيعة المسلمين، كالقزوينيّ (600-682هـ) في عجائب المخلوقات، والدميريّ (742-802هـ) في حياة الحيوان، وبالأخصّ المؤلّفات المتعلّقة بالصيّد (← تتمّة المقالة)، التوصل إلى معرفة اسم جنس الطيور، من بين هذا الكمّ الهائل من الأسماء، مثلاً: الصَّقَّار كان يتولّى تربية المجموعة التالية من الطيور فقط: أ) السُنْقور<sup>1</sup> (أو السُنْقور أو السُنْقار) الذي لم يكن معروفاً في البلاد الإسلاميّة، وكان يُستورد من سيبيريا بثمن باهظ، ويُقدّم من ضمن الهدايا المتداولة والكماليّة عند تبادل السفراء؛ ب) الجرغ<sup>2</sup> (معناه الحالي بالفارسيّة: بالابان، وبالعربيّة الصَّقْر، صَقْر الغزال، الشَّرق"؛ ج) البحريّ<sup>3</sup>، أو الشاهين، وأنواعها الفرعيّة الثلاثة الشرقيّة؛ د) الزُرُق<sup>4</sup>، أو الصَّقْر الأبيض؛ هـ) اليؤيؤ<sup>5</sup> أو الجلم؛ و) الكونج<sup>6</sup>؛ ز) العاسوق<sup>7</sup>؛ ح) العويسق<sup>8</sup>؛ ط) اللزيق<sup>9</sup> (← أمين معلوف؛ نظراً إلى كثرة الأخطاء في هذا الكتاب بسبب اعتماده على آراء منسوخة علمياً، من الضروريّ توخّي الحيطة في الأخذ منه).



متحف الهند الوطنيّ

باز صيّد

في مغرب العالم الإسلاميّ، لم تكن الطيور المحلّقة عاليّاً معروفة ولا مُستخدمة ما عدا أربعة طيور: أ) الجرغ = الصقر (باسمه المحلّيّ النُبليّ، أو اللبليّ، المأخوذ من اسم مدينة لبّلة<sup>10</sup>

<sup>1</sup> - Falco rusticolus

<sup>2</sup> - Falco cherrug

<sup>3</sup> - Falco Peregrinus

<sup>4</sup> - Elanus caeruleus

<sup>5</sup> - Falco columbarius aesalon

<sup>6</sup> - Falco subbuteo

<sup>7</sup> - Falco tinnunculus

<sup>8</sup> - Falco naumanni

<sup>9</sup> - Falco vespertinus

<sup>10</sup> - Niebla

الأندلسية، التي كان هذا الطائر يُجلب منها على ما يبدو؛ ب) اللاجين (بالاسم المحليّ البرني<sup>1</sup>، وهو نفسه "الفانت"<sup>2</sup> المتعلق بـ البيازرة النصارى؛ ج) الثركلي<sup>3</sup>؛ د) البحري<sup>4</sup> (ليو الأفريقي<sup>5</sup>، ص 166؛ مرسية<sup>6</sup>، الفصل 5: "البيزرة"، ص 81-106 ومصادره؛ دوما<sup>7</sup>، ص 359-372). نُعتت هذه البزاة الأربعة في المغرب بصفة "الحُرّ" (النجيب، الشريف). وأما "الصفير العيون" التي كان لا يربّيها سوى البازيار (الببزيّ بالمعنى الأخصّ) أي "صاحب الطرلان"، فهي مجموعةٌ كانت مستخدمة للصيد أكثر من غيرها من الأنواع. "الصفير العيون" كلّها طيور قصيرة الأجنحة، مخصّصة لصيد الطيور التي تحلّق على ارتفاع منخفض. تضمّ هذه المجموعة بشكل أساسي البواشق<sup>8</sup>، لكنّ أضيف إليها، في بعض نواحي إيران وآسيا الصغرى، بعض العقبان<sup>9</sup> الصغيرة الحجم.

الطائر الذي حظي منذ القدم، وفي بلاد الشرق بأسرها، برعاية واهتمام أهل الفن أكثر من غيره من طيور الصيد، هو "البازي"<sup>10</sup> نفسه (أو شاهباز = ملك البزاة). البازي ليس من الطيور المحليّة في البلدان العربيّة، وكان التجار يجلبونه من اليونان وتركستان وإيران والهند. في الملكة المغربيّة، كان مجهولاً تقريباً، كانوا يظنّون أنّ هذا "البازي" هو المسبّب لظهور فنّ الصيد بالطيور. كان اسمه الفارسيّ الأصل [باز]، الذي دخل اللغة العربيّة قبل الإسلام بمدة مديدة، يُطلق، جهلاً على ما يبدو، على كلّ طائر صيد، لذلك فإنّ مصطلح البيزرة، الذي هو عند أهل الفنّ "اقتناء البازي" بالمعنى الأخصّ، كان يُستخدم لمفهوم أعمّ أي الصيد بواسطة الطيور الصيادة (في أوروبا، على العكس، فضّل الشاهين على البازي). كان من الضروريّ في تعريب الاسم "باز" إيجاد جذر ثلاثيّ له، وأوجد اختيار هذا الجذر مشكلة لعلماء اللغة والمعجميين. لذلك افترحت له ثلاثة جذور: أ) ب ز و - ب ز ي اشتقّ منهما باز/البازي وجمعه بزاة، وبواز/البوازي، والبزءان؛ ب) ب و ز - ب ي ز، اشتقّ منهما باز وجمعه أبواز أو بيزان؛ ج) ب ء ز، اشتقّ منه باز وجمعه - بأزات، أبؤز، بؤوز، بئزان، بؤز، أو بوز - يأتي بعد البازي الباشق (أو القرقي، أو العلام، والطوط)، A.nisus، وكان الجنس المنفرد عنه "قصير الأرجل" A. badius brevipes (بالعربيّة: البیدق)، الذي فضّل لمطاوعته، ولسعة انتشاره؛ تُستخدم أنثاه

<sup>1</sup> - Falco biarmicus Barbary lanner falcon

<sup>2</sup> - Alphanet

<sup>3</sup> - Falco peregrinus pelegrinoides, Barbary falcon

<sup>4</sup> - Falco eleonorae, Eleonora's falcon

<sup>5</sup> - Leo Africanus

<sup>6</sup> - L. Mercier

<sup>7</sup> - E. Dumas

<sup>8</sup> - Accipitridae

<sup>9</sup> - Aquilidae

<sup>10</sup> - Accipiter gentilis

(باللغة المحليّة: "ساف") حاليّاً في رأس بونه في تونس لصيد السلوى (← ماثيس<sup>1</sup>، مج2، رقم 3-4، ص 107-118 مع الصور؛ بوآيه وبلانيول<sup>2</sup>، ص 242-248؛ لافودن<sup>3</sup>، ص 20-21؛ اللطائف، ص 24-27 مع الصور).

أمّا العقبان فلم تنل أصلاً مرتبة طيور الصيد المدربة ("عتاق الطير"). فالإيرانيون والأترك على الرّغم من نجاحهم في تربية الطُّغُرل<sup>4</sup> والزُّمَج<sup>5</sup>، تغاضوا عن تربية السُّنُقُر (بالعربيّة: المُرزّة، والجمع مُرزات<sup>6</sup>) والسقاوة (والجمع سقاوى)<sup>7</sup>، لعدم قابليّتها للتعلّم، وعن تربية النسور لأنّها تأكل الجيف. ارتقى الإيرانيون بفنّ تربية طيور الصيد إلى حدّ أنّهم استخدموا البوهة<sup>8</sup> لجذب طيور الصيد الأخرى وإيقاعها في الفخّ. "صفرُ العيون" هذه كانت كلّها مخصّصة لصيد الطيور المنخفضة التحليق مثل السُّمانيّ (أو السلوى)، والحجّل، والقَبَج، والطَّيهوج، والقطا، والحبارى، والرّعاد، والدُّرّاج، والعنقود، وغيرها من طرائد السهول والصحارى (الشكل 83).

لم يمرّ وقت طويل حتى صارت القواعد الفنيّة للبيزرة في المرحلة الإسلاميّة موضوع مؤلّفات عديدة، لم يصلنا معظمها. ذكر ابن النديم في الفهرست حوالى عشرة آثار. من ناحية أخرى هنالك العديد من المخطوطات في المكتبات العامّة والخاصّة في الشرق وفي أوروبا، لم تُحقّق حتى الآن (← بروكلمان، في فصليّ "العلوم الطبيعيّة" و "الصيد"). مع ذلك، نحن نعرف تلك القواعد الفنيّة جيّداً نسبياً من خلال الكتب المعدودة التي صُحّحت ونُشرت حتى الآن. لعلّ أقدم نصوص البيزرة هي تلك التي كانت أساساً ومرجعاً لمؤلّفات باللغة اللاتينيّة المتأخّرة<sup>9</sup>، المنسوبة إلى مؤلّفين مجهولين، يُدعيان "مؤمن" و "غطريف" (← الطبعة المحقّقة الممتازة لهذه النصوص التي أنجزها ترنلند<sup>10</sup>). لحسن الحظّ، نشر محمد كرد علي، العالم السوريّ، رسالة البيزرة، التي ألّفها بيزريّ الخليفة الفاطميّ العزيز بالله (حك: 364-386هـ). عرض مؤلّف هذه الرسالة، الذي لم يذكر اسمه، ثمرات تجاربه الطويلة الأمد، وتجارب غيره من "اللّعب" (خبراء البيزرة) من دون مباحاة، وجمع في فصل خاصّ الشواهد الشعريّة المتعلّقة بالبيزرة. هذا الكتاب هو الأنفس بدرجات من كلّ ما في متناولنا من الآثار العربيّة المتعلّقة

<sup>1</sup> - M. Mathis

<sup>2</sup> - A. Boyer & M. Planiol

<sup>3</sup> - L. Lavauden

<sup>4</sup> - Spizaetus cirrhatous

<sup>5</sup> - Hieraeus fasciatus & H. pennatus

<sup>6</sup> - Harriers

<sup>7</sup> - Buzzards

<sup>8</sup> - Eagle owl

<sup>9</sup> - Latin-Roman (Latino-roman)

<sup>10</sup> - H. Tjernereld

بأساليب تربية طيور الصيد. تقريباً، بالتزامن مع كُرد علي، صحَّح أسعد طلّس ونشر النصّ الأقدم المعروف في هذا الحقل، أي كتاب المصايد والمطارِد، تأليف كشاجم\* (المتوفى في العام 350 أو 356هـ)، الشاعر المعروف (بغداد 1373هـ / 1954م؛ ← بروكلمان، مج1، ص 85؛ <الذيل>، مج1، ص 137؛ أيضاً ← أسعد طلّس، مج2، ص 271-301، مع تحليل لمضمون هذا الكتاب). كتاب الصيد والبيزرة الكامل هذا، كان أحد المراجع التي استفاد منها المؤلفون اللاحقون للآثار المتعلقة بالصيد، أكثر من غيره من المؤلفات. ممّا يؤسف له، أنّ اهتمام المؤلف بالمواضيع الأدبية وحبّه لها الذي يفوق الحدّ، أفقدا هذا الكتاب فائدته العلميّة كليّاً. هنالك فرق كبير بين "أخبار الصيد" لأسامة بن مُنقذ (المتوفى في العام 584هـ) في كتابه الاعتبار (الفصل 3، ص 192-229)، الذي ألّفه في حقبة الحروب الصليبيّة (← درنبرغ<sup>1</sup>)، وبين معلومات كشاجم، والأوّل أكثر من الأخير حيويّة وفائدة. بعد طبع كتاب كشاجم، تدتت كثيراً قيمة كتاب أنس الملاء بوخّش الفلاء، تأليف محمّد المنكليّ، أحد أفاضل عصر المماليك، في العام 772هـ (← بروكلمان، مج2، ص 136؛ <الذيل>، مج2، ص 167)، الذي نُشر مع ترجمته الفرنسيّة غير الجيدة، التي أنجزها فلوريان فاراؤون<sup>2</sup> (باريس 1880م). تحوّلت البيزرة كذلك إلى موضوع لمنظومات شعريّة تعليميّة، مثل قصيدة إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجيّ المغربيّ (المتوفى في العام 920هـ؛ بروكلمان، مج2، ص 136)، التي تبلغ مائتين وثلاثة عشر بيتاً، ومنظومة الجّمهرة في البيزرة، لرجل يُدعى عيسى الأزديّ (القرن الرابع الهجريّ؟)، التي يستشهد بها المنكليّ غالباً. على الرّغم من أنّ مرسية قد استفاد من هذه الآثار، ومن مخطوطات آثار الفاكهيّ (المتوفى في العام 948هـ) والأشعريّ (المتوفى في العام 848هـ؛ مخطوطات مكتبة باريس الوطنيّة، رقم 2831، و 2834)، من المناسب أن تُصحّح هذه المؤلفات وتُنشر. لقد صحّح أسعد طلّس الأرجوزة الجميلة فرائد السلوك في مصايد الملوك، لابن نُباتة (686-768هـ) حول البيزرة، ونشرها.



د. أ. د. التركيّة

<sup>1</sup> - Derenbour [g](#)

<sup>2</sup> - Florian Pharaon

يُستخلص من هذه النصوص أن أساليب صيد جميع أنواع طيور الصيد وطرق تربيتها كانت ثابتة وغير متغيرة تقريباً. يؤخذ البازي من العش وهو صغير (غَطْرِيف، غَطْرَاف)، قبل أن ينبت ريشه، أو حين يصبح (ناهضاً)، أي بمجرد أن يصبح قادراً على الطيران، من غصن إلى غصن أو من صخرة إلى صخرة. في مرحلة البلوغ، سواء كان فرخاً، أو "برياً" أم "بلدياً"، أم مهاجرًا (قاطعاً أو راجعاً) - يأخذونه بواسطة مصيدة مدهونة بالدبُق، أو الشبكة، أو وعاءٍ مثقل، وبشكل خاص "الكومة" (طُعْم اصطناعي ذو جناح، يعلّق في قدم طائر الصيد القليل القيمة، المدرب، ثم يُطَيّر هذا الطائر لجذب البازي) (← طريقة الاستفاد من الكومة في ابن مُنْقِذ، ص 200-201؛ بلانيول، ص 154-156). حين يُقبض عليه، يبدأون "بتعليمه" (أي تهدئته): يخيّطون جفونه، ويلجأون إلى تجويعه وتنقيصه، ثم يبدأون تدريجياً بفتح جفونه، ويحتالون عليه بالتلقيم (= يعرضون عليه الطعام، ويطعمونه إياه لقمةً لقمةً)، والتلقيف (إغراؤه بلحوم الطعوم الحية)، كي يتقدّم ويقف على راحة يد البَيْرار. حين يُنهي تعلّمه، ويستجيب لنداء البَيْرار، ويقف على يده يربطونه بطوّالة، وحينئذ يبدأ تدريبه على صيد هذه الطريدة أو تلك. ومن ثمّ يطلقون أمام البازي ذلك النوع من الطيور الذي يريدون أن يكون "طريدة" له (كسيرة)، وهكذا يثيرون لديه غريزة أكل اللحم، ويصقلون ذكائه (فَراسَتَه) لـ "القبض" على ذلك الطعام الخاصّ. تُكرّر هذه التمارين بجُلْدٍ وصبر، وفي كلّ مرّة تُطوّل المسافة الفاصلة بين الطائرين. حين يرون أن البازي "مُسْتَوٍ للإرسال" (أي حين يكفّ عن الخوف، ولا يعود بحاجة لأن يُقيّد)، يجهّزونه بسباقين وبالأجراس، وبالخلاخل، ويعودونه على وضع القبعة (البرقع، الكُمَّة؛ في المغرب: الكنبيل)، أو ارتداء "القباء"، ويبدأون بتدريبه ليصبح "أنيساً"، أي يتجولون به لساعات وساعات في الحواري والأسواق، ليعتاد على الناس وعلى ضجيجهم. حين يأنس إلى الناس والخيول والكلاب وغيرها من الحيوانات الأليفة، يأخذونه إلى المَصِيد "ليصطاد طلقاً" الطيور المائية، أو الطيور من فصيلة الغربان. حينئذ يعود بمرافقة قرع الطبل (الطنبل)، المعلّق دائماً بلجام فرس البَيْرار (← مرسية، ص 98)، ويبيجيزونه بأكل أحد الطيور التي اصطادها. في مغرب العالم الإسلاميّ، لم تصل على الإطلاق تربية طيور الصيد إلى هذه الدرجة من الإتقان والظرافة. بمعنى أنّهم كانوا يقدّمون إلى الطير الذي يأخذونه دائماً وهو في مرحلة البلوغ، تعليماً مختصراً، ويطلقونه في الخريف (← م. ن، ص 96-104).

حين يريدون إراحة الطائر، يضعونه للتشريق، فوق أريكة (حَمولة، قُفاز) أو "كندرة" (عارضية)، في الشمس بجانب طست ماء، أو حوض صغير. في مرحلة القَرْنَصَة أو التكريز، يضعونه في الظل، بعيداً من أي صوت، ويتفحصون ذرقه، (أو رَجْمه) بدقّة، للاطمئنان على صحّة بدنه. في رسائل البَيْرَة، خُصّصت فصول طويلة لتشخيص الأمراض الخاصّة بالبُزاة، وطرق علاجها. فنّ المداواة هذا، في معظم الحالات طبّ تجريبيّ بدائيّ جدّاً، مختلط بالخرافات حول الوقاية من الأمراض.

منذ عهد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم طُرحت في الشريعة الإسلاميّة قضية حليّة أو جواز أكل لحم الحيوان الذي يتمّ صيده بواسطة طيور الصيد. كانت المسألة المطروحة، هل يجب أن تُذبح هذه الطريدة وفق التعاليم الدينيّة أم لا. عرض ابن رشد في بداية المُجتهد (← ابن رُشد، "كتاب الصيد"، المستلّ من البداية، النص والترجمة الفرنسيّة مع شرح فيره<sup>1</sup>، رقم 3-4، ص 228-259) شرحاً واضحاً للآراء المختلفة التي قدّمها الفقهاء ومذاهب أهل السنّة الفقهيّة. تُطرح هذه المسألة أيضاً في مقدّمة جميع كتب البَيْرَة والصيد.

/ف- فيرة (د. الإسلاميّة)/

**تكملة 1** [بناء على المعلومات التي قدّمها ابن رشد (مج1، ص 627-629) وآخرون (منهم ← ابن قدامة، مج8، ص 545)، هنالك خلاف بين الفقهاء حول هذه المسألة: هل صيد جميع الحيوانات والطيور كصيد الكلب المُعلّم أم لا؟ أفتى معظم الفقهاء بصحّة الصيد بواسطة الحيوانات والطيور المُعلّمة، البعض حصر ذلك بكلب الصيد، وعدد محدود استثنى البازي. يرى ابن رشد أنّ مصدرَ خلافهم أمران، ناجمان كلاهما عن كفاية الاستنباط من الآية 4 من سورة المائدة؛ وكما ذكر ابن رشد وابن قدامة، إنّ الذين حصرُوا حليّة الصيد ببازي الصيد، يستندون إلى حديث مرويٍّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ورد فيه، أنّ من الجائر أكل الصيد إن احتفظ به البازي لصاحبه.

بناء على روايات وردت في المصادر الحديثيّة الإماميّة، يجوز أكل ما يصطاده البازي وأمثاله (من الجملة ← الحرّ العامليّ، مج16، ص 223)، لكن نُقلت أحاديث عن أئمّة الشيعة عليهم السلام، عدّت جواز أكل لحم هذا النوع من الصيد مشروط بتذكيته (م. ن، ص 219-223). بناء على هذه الأحاديث، ما من حيوان سواء كان البازي أو الفهد، حتى وإن

<sup>1</sup> - F. Virè



كان مُعلِّماً، كالكلب، ليكون بالإمكان أكلُ صيده؛ لكنَّ هذا الصيد حلال فقط إن كان حيًّا، وذكيَّ بيد الإنسان. أُشير في بعض هذه الروايات إلى الآية القرآنيَّة نفسها، ولفظة "مُكلِّبين". أفتى فقهاء الإماميَّة على أساس روايات المجموعة الثانية، وكما قال النجفيّ (مج36، ص 10)، ما من أحد أفتى بجواز أكل صيد طيور كالبازيّ. اعترض الفقهاء على أساس القواعد الخاصَّة بتعارض الأدلَّة، وطرق ترجيح أحدها على الآخر، على روايات المجموعة الأولى؛ لا سيَّما وقد صرَّح في إحدى هذه الروايات أنَّ الحكم بحليَّة أكل لحم الصيِّد الذي يصطاده البازي، قد صدر في العصر الأمويّ من باب التقيَّة (← مبحث "الصيِّد والذبائح"، في الكتب الفقهيَّة الشيعيَّة المختلفة، من بينها: الشيخ الطوسي، مج6، ص 256-257؛ المحقِّق الحلِّي، مج3، ص 199؛ الشهيد الثاني، مج7، ص 196؛ النجفيّ، مج36، ص 8-11).

**المصادر والمراجع:** ابن رُشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مصر 1402هـ؛ ابن قدامة، المغني، لبنان؛ محمَّد بن الحسن الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، ط. عبد الرحيم ربّاني؛ زين الدين بن عليّ الشهيد الثاني، الروضة البهيَّة، بيروت 1403هـ/1982م؛ محمَّد بن الحسن الطوسيّ، المبسوط، طهران [1387هـ/1967م]؛ جعفر بن حسن المحقِّق الحلِّي، شرائع الإسلام، النجف 1389هـ/1969م؛ محمَّد حسن بن باقر النجفيّ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، بيروت 1401هـ/1981م.

/مسعود الحائريّ (فريق الفقه)/

من ناحية أخرى ألهمت البيزرة الشعراء، وابتداءً من العصر الأمويّ وما تلاه، صارت كصيِّد الفرسان بواسطة كلاب الصيِّد، من المضامين الأساسيَّة في الأشعار المرتجلة على بحر الرَجَز. وسرعان ما أصبحت الأرجوزة، القالب الأرقّ والأكثر طواعية وحيويَّة من القصيدة التقليديَّة الجامدة والحافَّة، قالبًا نموذجيًّا للطرديات\* (الطردية)، التي نظمها الشعراء كالشماخ\* (المتوفى في العام 22هـ)، والعجاج\* (المتوفى في العام 89هـ)، وابنه رؤبة\* (المتوفى في العام 145هـ)، وعدد آخر من الشعراء. هذا النوع من الشعر الذي شاع كثيرًا في العصر العبّاسيّ، استساغه شعراء كبار كأبي نواس وابن المُعتزّ وكشاحم والنّاشي، ونظموا فيه. لقد وجدوا في طردياتهم "الفرصة لإظهار مقدرتهم" في البحث عن الألفاظ الغريبة واستخدامها، ومصطلحات البيازرة والصيادين النادرة (بلا، 1371هـ/1952م، ص 108-109)، (حول "الطرديات" ← نفسه، 1372هـ/1953م، ص 160 وما بعدها، وتعليقاتها. يمكن

العثور على الطرديات في دواوين الشعراء؛ معظم طرديات أبي نواس نقلها الجاحظ في كتاب الحيوان). ممّا يؤسف له أنّ هذا التظاهر والتزيّد أدّى إلى أنّ كلّ الذين أعجبوا بالطرديات، استخدموا لغةً لا شبه بينها وبين اللغة التي كان يستخدمها محبو البيّرة. في الأندلس، لا سيّما منذ القرن الخامس الهجريّ وما بعده، استخدم الشعراء موضوع الصيد بالطيور الذي لم يكن منفصلاً عن ذائقة حبههم للطبيعة، واستطاعوا، أنّ يضيفوا عليه ألواناً من مشاعرهم الرقيقة، لا نجدها في آثار الشعراء الشرقيّين (← برس<sup>1</sup>، ص 346-349). إلى جانب هذه الآثار ذات الصبغة العلميّة والأدبيّة، هنالك أشعار موضوعها البيّرة باللّهجات المتنوّعة، التي ظلّت سارية لدى القبائل العربيّة الكبرى، وحُفظت. العجيب، أنّ قبيلة الطوارق\* لم تتعرّف البيّرة على الإطلاق (← لت<sup>2</sup>). لقد حرّمنا الكره الشديد الذي أبداه جامعو منتخبات الشعر العربيّ، للغة "الدارجة" (العاميّة) من هذه "الأغاني" البدويّة، التي كانت شائعة حتى وقت قريب في أقاصي صحراء شماليّ أفريقيا. يُلاحظ نوع من الوصف الواقعيّ في الأشعار التي وصفت الطائر والصيد به، ووصفت طرائده، من الصعب العثور على نظير له في الشعر العربيّ الرسميّ (الكلاسيكيّ) (← سيدون<sup>3</sup>، رقم 270-271، ص 272-294).

النصيب الأكبر الذي يحتلّه موضوع طيور الصيد في الآثار الفنيّة في البلاد الإسلاميّة، يستحقّ تحقيقاً أوسع وأشمل. في وسائل التعبير الفنيّ- الرسم (المنمنمات)، وأعمال الحفر على الحجارة والحصّ والخشب والعاج، والحفر على البلّور والزجاج والنحاس، والتطعيم بالبرونز والزجاج والمعادن الثمينة، والزخرفة بالقاشانيّ والفخار، وحياسة الحرير وأعمال الإبرة، والتطريز بالخياطة الحريريّة- قسم كبير من الآثار القيّمة مضمونها طيور الصيد. هذا المضمون بتعبيراته التي لا تُحصى هو أحد المضامين، التي أضفت على الفنّ الإسلاميّ، في البلاد الشرقيّة والغربيّة من العالم الإسلاميّ، الكثير من خصائصه (← بوب<sup>4</sup>؛ ميغون<sup>5</sup>؛ كشلن وميجون<sup>6</sup>؛ مارسه<sup>7</sup>). لقد استُخدم هذا المضمون أيضاً في تخطيط شعارات الممالك وأوسمتهم الرسميّة (← مير<sup>8</sup>؛ أرتين باشا<sup>9</sup>).

<sup>1</sup> - H. Pérès

<sup>2</sup> - H. Lhote

<sup>3</sup> - M. Sidoun

<sup>4</sup> - A. U. Pope

<sup>5</sup> - G. Mi g eon

<sup>6</sup> - R. Koechlin and G. Mi geon

<sup>7</sup> - G. Marçais

<sup>8</sup> - L. A. Mayer

<sup>9</sup> - Artin Pacha

المصادر والمراجع: ابن سيّده، المخصّص، الإسكندريّة 1321هـ / 1904م، مج 8؛  
الفهارس لمحمّد طالبي، تونس 1956م؛ ابن مُنقذ، كتاب الاعتبار، ط. P. Hitti برينستون  
1348هـ / 1930م؛ ابن النديم، الفهرست؛ عيسى الأزديّ، الجمهرة في البيّزرة، مخطوطة  
الأسكوريال، رقم 903؛ ابن سعيد الأكفاني، إرشاد المقاصد؛ البيّزرة، ط. محمّد كرد عليّ،  
دمشق 1372هـ / 1953م؛ عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب التبصّر بالتجارة، ط. حسن  
حسني عبد الوهّاب، القاهرة 1353هـ / 1935م؛ نفسه، كتاب الحيوان، القاهرة  
1366هـ / 1947م؛ الدّميريّ، حياة الحيوان الكبرى، القاهرة 1366هـ / 1947م؛ محمّد  
أسعد طلّس، "الحياة الاجتماعيّة في القرنين الثاني والثالث الهجريّين"، مجلّة المجمع العراقيّ،  
مج 2 (1371هـ / 1952م)؛ زكريا بن محمّد القزوينيّ، عجائب المخلوقات؛ أحمد بن عليّ  
القلقشنديّ، صبح الأعشى، القاهرة 1331هـ / 1913م، مج 2؛ كشاجم، كتاب المصايد  
والمطارد، ط. أسعد طلّس، بغداد 1373هـ / 1954؛ اللطائف، تونس (رمضان  
1374هـ / أيار-مايو 1955م)؛ المسعوديّ، مروج الذهب؛ أمين معلوف، معجم الحيوان،  
القاهرة 1350هـ / 1932م؛ محمّد المنكليّ، أنس الملائ بوحش الفلأ، مع ترجمة فلوريان  
فاراؤون، باريس 1400هـ / 1880م؛

أجنبيّ...

/ف- فيرة (د. الإسلاميّة)/